**قسم اللغة والأدب العربي س3 السنة الثالثة لم د**

**مادة :الشعر المغاربي الحديث الدكتورة مسالي ليندة**

**المحاضرة الرابعة:**

**الشعر المغربي الحديث من التأسيس الى التجديد**

**البدايات والتأسيس والخصائص**

تعرض المغرب لاحتلال فرنسي واسباني، طبعا الحادثان أضعفا تماما اعتقاد المغرب في قوته، وبينا أيضا ضعف جيشه وسوء تنظيمه، كان من نتائجها عقد هدنة مع فرنسا، وأخرى مع إسبانيا، بشروط قاسية، أضف إلى ذلك تنامي أطماع الدول الأجنبية للاستيلاء على بعض المدن المغربية الساحلية. وعلى المستوى الاجتماعي، كان من تبعات الهزيمة اندلاعُ ثورة القبائل، لكل هذه التداعيات، ألفينا السلطان عبد الرحمان يستدعي ضباطا من الخارج لتنظيم الجيش والبنيات الأخرى المتهلهلة. كما قام بإصدار ظهير يأمر فيه بإصلاح التعليم بالقرويين. وبهذا يعتبر ثاني اثنين حاولا إصلاح التعليم بالقرويين، بعد جده المولى محمد بن عبد الله.

وخلفه ابنه المولى محمد الرابع، الذي يرجع له الفضل في إدخال أول مطبعة إلى المغرب، وطبع الكتب الأولى بها، مثل: شرح الأزهري على الآجرومية، والشرح الصغير للخرشي على مختصر خليل، وشرح التاودي ابن سودة على العاصمية في الفقه المالكي لابن عاصم قاضي قضاة غرناطة، وغيرها. ويمضي السلطان الحسن الأول على نفس النهج الإصلاحي، فيقيم المكينة مصنع لصك النقود(بفاس سنة 1885 م بمساعدة ضباط ايطاليين، وكلف شيخَه أبا العباس أحمد بن الحاج بكتابة تأريخ مفصل للدولة العلوية، وسعيا منه إلى تخليص المغرب من مساوئ الامتيازات، عقد مؤتمر مدريد عام 1880 م، النتيجة جاءت بما لا تشتهي سفنه، حيث تقرر الإبقاء على تلك الامتيازات بالنسبة للدول الثلاث، وتعميمها على الدول التي حضرت المؤتمر.

ويرث السلطان عبد العزيز ولم يتجاوز الثالثة عشر من عمره، كل هذه المسؤوليات الجسام. وقد كان حاجبه المستبد أبو احمد، وهو ابن خادم أسود، يسيّر دفة الحكم فتسلط على المخزن. ووافقت وفاته عام 1902م بلوغَ السلطان الواحدة والعشرين من عمره، وهو السن الذي يؤهله لتقلد مهام الدولة.

هذه لمحة مختصرة عن السياق العام الذي كان يعشه المغرب قبل عصر النهضة، مما اثر على الأدب بشكل عام، وجعل شعر البدايات يتميز باتجاهين أساسيين: الاتجاه الديني وموضوعه القصائد النبوية في مدح الرسول الكريم والأشراف. والتعبير عن الرغبة الملحة في أداء فريضة الحج وزيارة البقاع المقدسة، وحث الناس على الإخلاص في الأعمال وقهر العدو الكافر الذي يزداد تضييقه على التراب الوطني أكثر فأكثر. والاتجاه الدنيوي الذي يقدم قطعا واقعية عن الاخوانيات وعن لواعج الذات وهمومها، إضافة إلى نقد المجتمع والتجاوب مع الأحداث الوطنية.

تبدو خريطة الشعر المغربي إذن متراوحةً بين التقليد والتجديد على مستوى المضمون. فمن جهة، ظل شعراء المرحلة مرتبطين بالنموذج القديم، يكاد أن يكون كلُّه في المدح والتهنئة والوصف، مثل الشاعر إدريس بن محمد العمراوي ت1878 الذي يصفه صاحب "**فواصل الجمان في أنباء وزراء و كتاب الزمان"،** بأنه**:" فريدة عقد الكُتاب**" لا يختلف في ترسم النموذج القديم عن سابقه، نذكر من شعره مرثية في الوزير أبي عمران موسى بن أحمد، تناهز الأربعين بيتا، منها:

عش ما تشاء وأكثرن أو أقصد ما ذي الحياة على الأنام بسرمد

فتكاتها في العالمــــــــــــــــــين شهيرة بالقهر تعبث في العباد وتعتدي

يعكس النموذج إبراز الشاعر للعواطف الذاتية، مع وقفات تأملية تتوجه إلى التاريخ وذكر الأمثال والاتعاظ بالدهر ومن الأغراض الشعرية التقليدية التي أبدع فها الشعراء، غرض الغزل بنوعيه المذكر والمؤنث. وقد ظل بدوره خاضعا لتقاليد الشعر العربي، من حيث المضمون؛ يدور في فلك المعاني التي تغنى بها شعراء الغزل من أمثال: عمر بن أبي ربيعة، وأبي نواس وأضرباهما.أما بالنسبة للمديح، فلم يكن له ذلك التوهج الذي عهدناه لسبب بسيط أنْ كانتِ المرحلة مرحلةً اضطربت فيها صورة الممدوح/البطل. ويتجلى أثر التقليد في نموذجَ القصيدة الواصفة. بما امتاز به من تفاعل خلاق مع الطبيعة والمآثر العمرانية، ننصت لأحمد الصبيحي)1879-1944م) إذ يصف مدينة مكناس قائلا: عرج عـــــــلى مكناسة الزيــــتون

متيمنا بالتـــــــــــــين والزيتــــــون

حيث المــــــياه الدافقات ترقرقـــت

وجرن بأودية لــــــــها وعيـــــون

وأخيرا بدا التقليد في المضمون، من خلال تسلل فن تقليدي متداول إلى شعر المرحلة؛ يتعلق الأمر بشعر الإخوانيات والمطارحات والمساجلات، كما نعثر على دفقات من دماء التجديد فاستوى شعر الثورة والمقاومة غرضا ما فتئ يستقطب قرائح الشعراء، منذ احتلال الجزائر 1830م. فهبت ثلة منهم تحذر من مغبة تجاهل ما يجري بالجوار، يقول محمد بن إدريس العمراوي:

يا أهل مغربنا حق النـــــــــــــــــــفير لكــم إلى الجهاد فما في الحق من غلط

فالشرك من جانب الشرق جاوركم من بعد ما سام أهل الدين بالشطط

وله أيضا مطولة من مئتين وعشرين بيتا، يدعو فيها الشعب المغربي إلى حمل السلاح للدفاع عن القطر الجزائري الشقيق، ثاني مناحي التجديد في الشعر، كان مواكبة الشعراء للمستجدات الحضارية التي تطرأ على المجتمع المغربي، والتي كانت تثير جدلا فقهيا واسعا، ومن الشعراء العربي بن محمد السايح، الذي تناول الضجة التي أثارها دخول الشاي إلى المغرب، يقول: واصل شـراب حليـــــــــــفة الأمجــاد

واتـرك مــــــــقال أخي هوى وعنــاد

صفراء تسطع في الكؤوس كأنها

شمـــــــــس تبدت في ذرى الأطـــواد

ونجد إلى جانبها الموشحات الذي ارتبط منذ نشأته في الأندلس بالموضوعات الغنائية. ولكن شعرائنا ما لبثوا أن جعلوه مطواعا للتعبير عن شتى الأغراض، من مدائح نبوية كقول أبي عبد الله محمد غريط.

ما أحسن الليـــــن في القــــدود

والسحر في الــــعين والفتـــــــور

وأعـذب الوصـــل عن صدود

ينضاف إلى ما سلف، شكل آخر ترجع أقدم قصيدة وصلتنا منه إلى أواخر العصر الموحدي، ألا وهو الملحون. إلى جانب ما سلف تحضر التخميسات، كتنويع شكلي في التعبير الشعري، برع فيه الشعراء. نجتزئ بمطلع لتخميس طويل، في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو لإدريس بن محمد العمراوي، يقول فيه:

غوث الــــــورى إذا دهى معضل

خير الأنام المصطفى المفضل

فالفضل مـــــــنه، وبه موصــل

مـــــا أرسل الرحمان أو يرسـل

وهكذا، يبدو أن لا جديد يذكر على مستوى شكل القصيدة. فالشعراء التزموا النموذج الشكلي القديم وإن زاغوا عنه، إلى تشكيلات شعرية قديمة ومتفرعة عنه.إننا نقر بوجود تطور كبير في التجربة الشعرية التي عرفها المغرب منذ بداية الستينيات إلى الآن. ولكن هذا التطور الذي لحق هذه التجربة، ساهمت فيه كل التيارات الأدبية والشعرية، التي سادت فترتي الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين. فكل باحث موضوعي لا يمكن له استبعاد تأثير هذه التيارات التي عرفتها الأوساط الأدبية في المغرب.

بعدفترة أواخر القرن التاسع عشرلم يكن الشعر موضوعه المستقل، بل كان موضوعه مرتبطا بموضوعات العلم والمعارف الأخرى. وبمعنى آخر فإن الشعر كان مجرد أداة لحفظ الشواهد في معرض علم النحو، وعلم البلاغة ورواية المثل السائر. إننا لا ننكر على شعراء هذه الفترة قراءاتهم المختلفة للموروث الشعري. غير أن هذه القراءات لم تثمر. لقد استطاعت الحركة السلفية أن تحدث هزة وخلخلة في مفهوم الشعر، ولكن هذه الهزة أو الخلخلة كانت لصالح الحركة نفسها وليس للفن الشعري.

كان لابد من انتظار فترة الثلاثينيات التي سيبدأ فيها الصراع بحدة، بين أنصار التجديد وأنصار التقليد، في هذه الفترة المتقدمة، مفهوم جديد للشعر، أخذ يقترب من عناصر الفن شيئا فشيئا، يقول **علال الفاسي**

قــد مثلته بد الأولــهة كــــــــــــــلة  جمعت مــــن الآلام والأحـزان

وكسته من أيدي الطبيعة حـلة نســجت من الإقلال والحـرمان

يبكـي مع الأطيـار في دوحاتها    وينــام نــــــوم العاشق الولهان

كان وراء اكتساب هذا المفهوم الجديد للشعر، أسباب موضوعية من أهمها التطور الذي حدث للبنية الاجتماعية والثقافية والفكرية. فقد عملت الحركة الوطنية على بث الوعي في نفوس الناس، وشجعت على إنشاء المدارس والمعاهد العلمية. وكذا التواصل بين المغرب والمشرق الذي كان قويا في هذه الفترة، عن طريق البعثات العلمية والكتب والمجلات والصحف التي كانت تصل إلى المغرب بانتظام. فما كان معروفا في الساحة المشرقية من علوم معارف أصبح معروفا في الساحة المغربية، إلى جانب ظهور حركة نقدية عملت على نشر بعض المفاهيم في إطار اتجاهات متنوعة. ويمكن أن نقسم هذه الدراسات النقدية إلى قسمين: قسم كان يهتم بالأدب العربي القديم، وقسم آخر يهتم بالأدب العربي الحديث.

إننا منذ فترة الثلاثينيات نجد أقلاما جادة تكتب حول أعلام مدرسة النهضة في المشرق. فنقرأ على سبيل المثال دراسات حول شوقي والبارودي وحافظ إبراهيم إلى جانب دراسات أخرى حول طه حسين والعقاد والرافعي نشر أغلبها في مجلات كالمغرب، ثم نشرت بعد ذلك تحت اسم " يوم شوقي بفاس" عام 1936 م. أما مجلة السلام التطوانية، فإنها كانت تخصص ركنا لدراسة ونقد كل ما يصل من الشرق العربي من آثار أدبية وشعرية. هذا بالإضافة إلى عشرات من الدراسات الأخرى حول آثار القدماء من الشعراء والكتاب.

وهدفها تطوير الحركة الأدبية والشعرية في ضوء التصورات الجديدة التي عمل أصحاب التيار الإحيائي على نشرها وإذاعتها.وثانيهما؛ محافظ؛ يرمي إلى الإبقاء على التقاليد في بناء اللغة الشعرية حفاظا من ضياع ما كان يسمى بالأصالة العربية الإسلامية.غير أن أهم من كل هذا، هوأننا لأول مرة، بدأنا نسمع الحديث عن بعض المصطحات من مثل: الخيال الشعري، والشعور، والإبداع، والذات الشاعرة، والذات الجماعية وما إلى ذلك. ولكن كل ذلك كان يتم في إطار الحركة الوطنية وعلاقة هذه الحركة بالإبداع الأدبي.

هكذا نلاحظ أن الأسس التي قامت عليها هذه الحركة النقدية، أعطت نتائجها في فترة الثلاثينيات، وعملت على خلق تيار عري وتيار نقدي في الفترات اللاحقة.